

الإسلام وحركة الأرض

إن المسلم الذي هداه الله إلى الإسلام إذا أراد أن يزداد إيمانه، وتتوثق بالله وخالقه صلته، لا بد وأن يتعلم ما لم يعلم، وأن ينظر في ملكوت السموات والأرض ليرى أكثر مما يراه ببصره وعينه عندئذ تتضح له الرؤيا، ويرى النور في كل شئ يراه في نفسه، يراه في كل حاسة من حواسه وفي كل عضو من أعضائه بل وفي كل خلية من خلايا جسمه. ولم لا والقرآن الكريم يرسم للمؤمن هذا الطريق فيدعوه الى التعلم ويحضه على المعرفة والبحث. ألم يقل سبحانه وتعالى:

وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١١﴾

والم يقل أيضا

وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

ولم نذهب بعيدا ألم يكن أول ما أنزل على سيد البشر صلوات الله عليه:

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ

﴿٤﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ (العلق ١ - ٥)

ويكرم الله العلم تكريما بتكريمه بالقلم وهل هناك أكثر تكريما من أن يقسم به سبحانه وتعالى وأنه لقسم لو تعلمون عظيم فيقول:

ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١٥٣﴾

يعد سبحانه وتعالى الإنسان الذي خلقه وكرمه بأنه سيكشف له عن آيات كثيرة وأسرار هامة في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه سبحانه وتعالى الحق فيقول:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
(فصلت ٥٣)

وفي هذه الآية دعوة صريحة للبحث والتعلم. حتى إذا سلك الإنسان هذا السبيل رأى من آيات ربه الكبرى الكثير وعرف من أسرار كونه الكثير عندئذ يؤمن عن عقيدة واقتناع، هذا إذا أراد أن يرى الحقيقة دون أن يعرض عنها، ولا يكون كمن يقول عنهم القرآن الكريم:

وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٥٥﴾

(يوسف ١٠٥)

وإذا كانت هذه كلها ترغيبات للإنسان في العلم إلا أنها في نفس الوقت دعوة للمسلم أن يتعلم، وأن يزداد علما فيسمو بعلمه ويقوى بعلمه ويسعد بعلمه وها هو حاضرا الذي نعيش فيه يقول أن الغلبة للعلم والنصر للعلم والقوة في العلم. إلا أن القرآن الكريم يضيف إلى ذلك أن العلم وحده هو الطريق الوحيد لمعرفة الله سبحانه وتعالى، وأن الذي يعلم هو أول من يعلم أن الله حق وهو أول من يؤمن بوحدانيته وقدسيته استمعوا لقوله سبحانه وتعالى:

لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

(النساء ١٦٢)

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ

(آل عمران ١٨)

بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ^ع (العنكبوت ٤٩)

وغير ذلك من الآيات كثير وكثير. ثم تعالوا نتحدث عن موضوع الساعة وعما يشغل بال الإنسان في هذه الأيام ألا وهي رحلة الإنسان إلى القمر وهبوطه على سطحه وهل يساعد ذلك على تثبيت إيمان المؤمن أو هو على العكس يدعو إلى زعزعة إيمانه.

دار الإنسان بسفينة الفضاء حول الأرض، ثم سافر من الأرض إلى القمر، ودار حوله وما في ذلك شك، ثم هبط على سطح القمر وخطا خطواته الأولى على سطحه وجمع عينات من أرضه وتربته. هكذا طالعنا الأخبار وهكذا رأينا على شاشة التليفزيون ورأينا رأى العين كيف كانت مركبة الفضاء تهبط وكيف هبط منها الرائد على سطح القمر.

وأن ما يعنينا في هذا المجال أن نقول لرواد الفضاء أن ما يرونه ما هو إلا جزء لا يقدر ولا يذكر من ذلك الملكوت الأكبر. وأن المؤمن الحق يستطيع أن يقول أنه رأى الله حقاً، رآه في تلك الأرض الراسخة السابحة في ذلك الفضاء. رآه في ذلك القمر وفي تلك النجوم التي تسير وتسيح في ذلك الفضاء الذي لا نهاية له ولا بداية، تسير في أفلاك مرسومة محدودة لا تحيد ولا تخرج عن مدارها، وفي مواعيد لا تتقدم عنها ولا تتأخر، رآه في تلك السماء التي رفعت من غير عمد نراها، ولكن من لم يرى شيئاً من ذلك فلن يراه إن إبراهيم عليه السلام وقد وهبه الله نعمة البصر والبصيرة.

عرف ربه وهو على سطح الأرض دون أن يسبح في فضائه أو أن يرتفع عن أرضه. عرف ربه سبحانه وتعالى عندما نظر إلى الكواكب فأعرض عنها، ونظر إلى القمر فلم

ولكنه لم يستطع أن يجاهر برأيه هذا فيحطم نظرية كانت مستولية على الأذهان تماما في ذلك الوقت ثم يجيء كوبرنيكوس، وكان كاهنا وقد استطاع أن يدرك الحركة النسبية للأجسام ضاربا بذلك براكب في سفينة تسير بحذاء الشاطئ فإنه يرى الأرض متحركة والسفينة ثابتة. وكذلك الحال في الأجرام السماوية، فإننا نراها متحركة ونحن كأننا على سطح ثابت. وبذلك استطاع الوصول إلى تلك النتيجة المعروفة وهي أن الأرض متحركة لا ثابتة. وقد استطاع كوبرنيكس أن يجاهر برأيه هذا بالرغم من أنه كان من رجال الكنيسة، وبالرغم من سطوة البابا بولس الثالث. ولكن حتى هذا الرأي يقول بأن النجوم ثابتة لا تتحرك يختلف تماما عما نعرفه الآن من أن الكل في حركة دائمة ويحدثنا القرآن الكريم فيقول:

وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

حتى إذا كان عام ١٥٧١ ميلادية يأتي كيلر ويثبت أن جميع السيارات تدور حول الشمس كل في مدار خاص به.

ثم يجيء غاليليو (١٥٦٤-١٦٤٢) ويفضل اختراع المقرب استطاع أن يرى ما لا تراه العين المجردة فرأى النجوم الكثيرة ورأى في القمر جبالا وظلالا. وكشف أربعة أجسام صغيرة تدور حول المشتري واستطاع أن يثبت أن للزهرة أوجها كأوجه القمر.

ويأتي نيوتن بعد ذلك (١٦٤٢-١٧٢٧) ويثبت أن السيارات وأقمارها تدور كلها حول الشمس مرتبطة بقانون الجاذبية.

ثم يجيء هرقل (١٧٣٨-١٨٢٢) ويثبت أن جميع النجوم التي كان يظن أنها ثابتة هي في الحقيقة متحركة ولكنها بعيدة جدا حتى إننا لا نستطيع أن نحسب أفلاكها.

ويقول العلماء أن في السماء أنظمة عديدة تشبه الشمس وسياراتها تتحرك لها وفقا

لنظام دقيق وعجيب. وما شمسنا وقمرنا إلا مجموعة من مجموعات كثيرة مماثلة يزخر بها هذا الكون.

وهكذا تحدث التاريخ عن حركة الأرض والنجوم، وأن هذه الحركة لم يثبتها العلم إلا ابتداء من عام ١٤٥٠ ميلادية بينما القرآن الكريم - وهنا يظهر إعجازه - يحدثنا عن ذلك قبل ذلك التاريخ بمئات السنين أخبارا لا تقبل الشك، وفي وقت كانت العقيدة المسيحية تقول أن الأرض ثابتة لا تتحرك، ولكن القرآن الكريم يقولها صريحة واضحة:

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ هَآءَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

(يس ٣٨-٤٠)

ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى:

وَرَأَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ

(النمل ٨٨)

ويقول سبحانه وتعالى:

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٣١﴾

وهكذا يحدثنا القرآن الكريم منذ القدم حديثا لا يتطرق الشك اليه يثبت العلم ويراه الإنسان برحلاته في الفضاء رأى العين ما يدعوننا إلى أن نعرف ونؤمن أنه تنزيل من لدن حكيم عليم. ولا هو بقول كاهن ولا بعلمه بشر، ولكنه قرآن كريم ممن خلق الأرض والسماوات العلى وما بينهما وما تحت الثرى.

ثم نعود مرة أخرى إلى من كان يظن أنه سيرى الله وهو يدور حول الأرض،

وكانما قد وصل إلى نهاية الكون والذى من المحال أن يصر الى نهايته حتى ذلك الذى هبط على سطح القمر فلا يذهبن به أو بنا الظن أنه يصل إلى نهاية الكون أو أنه قد نفذ من أقطار السموات والأرض والله سبحانه وتعالى يقول:

يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
فَأَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ (الرحمن ٣٣)

ويقول بعض المفسرين أن هذا السلطان هو العلم، ولكن مظاهر الآية يقول أنكم لن تنفذوا يا معشر الإنس والجنس مهما تقدم بكم العلم، وهذا تحد مستمر وسيستمر ما دامت السموات والأرض. وفي سورة أخرى يحدثنا القرآن الكريم عن هذا الكون وأنه أوسع وأرحب مما نظن فدنينا كلها بشمسها وقمرها وأرضها ونجومها جزء صغير من ذلك الملكوت العظيم، وأن الذى يستمع إلى مثل قوله سبحانه وتعالى فى سورة المعارج:

نَعْرُجُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ (المعارج ٤)

وهكذا تتحدث الآية وسرعة الملائكة والروح لا تتقيد بالأرقام التى تعرفها ولا تستطيع أن تجاريها تلك السرعات العظيمة التى وصل العلم إليها. ولكنه سبحانه وتعالى يخاطب البشر على قدر عقولهم المحدودة القدرة فيقول:

فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾

ثم يدعونا الحديث عن القمر والنجوم إلى ما يحتمل أن يوجد بها من مخلوقات وهل هناك كائنات حية أم لا والقرآن الكريم صريح فى ذلك وواضح استمعوا لقوله سبحانه وتعالى:

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِنَّ مِنْ دَابَّةٍ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا
سَاءَ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ (الشورى ٢٩)

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْكَرُونَ ﴿٤٩﴾
يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾
(النحل ٤٩-٥٠)

وإننا للآن لم نستطيع أن نثبت وجود حياة على أى من الكواكب إلا أن ذلك ليس بعيد. فنحن لم نكتشف الكون كله، وما زلنا فى بداية الطريق والطريق طويل وشاق وطريق العلم لا نهاية له. وهكذا يسبق القرآن الكريم فيما يقول فيضع لنا القضايا العلمية المختلفة ويعطى فيها حكمه الذى لا يقبل الشك ثم يقول للإنسان:

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ
(العنكبوت ٢٠)

ويقول أيضا:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ

ويقول سبحانه وتعالى فى سورة الحج:

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَلِمَا هِيَ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾

(الحج ٤٦-٤٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ
فَإِنَّ التَّوْفِيقَ لَكُمْ

(سورة يونس)